قضايا أدب الهامش المرأة

5.0

د.غزلان هاشمي

24/03/2024

قائمة المحتويات

وحدة	5
مقدمة	7
I-النضال النسوي في الأدب	9
II-اتجاهات الكتابة النسوية العربية :	11
III-تمثيلات المرأة المهمشة في بعض الروايات المعاصرة:	13
خاتمة	15
قائمة المراجع	17
مراجع الأنترنيت	19

وحدة

ـ التعرف على الآليات المعتمدة لرد إساءات تمثيل المرأة في الخطاب الأدبي.
ـ كيف تم الحديث عن الهامش النسائي في الخطاب الروائي ؟
ـ والتعرف على كيفية محاولة فضح السلطة الأبوية في هذه الخطابات.

مقدمة

بدت بعض الخطابات الأدبية التي تتحدث عن قضايا المرأة أنها تناضل من أجل الحصول على الاعتراف ودفع المغيب للظهور في واجهة العمل الثقافي،خلقا لوعي جديد تحترم من خلاله الذات التي تتحول من مجرد موضوع للدراسة إلى دارسة تصغي لصوت المغايرة ،وتسهم في فرض وضع ثقافي مناقض لماهو سائد ،لذا يمكن القول أن أدب الهامش شكل فسحة للحديث عن المرأة وفضح إساءات التمثيل التي طالتها في الخطاب المركزي الذكوري.

I النضال النسوي في الأدب

ظهرت الخركة النسوية كمفهوم سياسي يهدف إلى القضاء على اللامساواة بين النساء و الرجال ، و يعود ظهورها إلى فترة الستينات و بالضبط عام 1968 ، عندما بدأت النسوة تقاربن الأدب بالنظر إلى التحولات السياسية التي أنتجتها الحركات المطالبة بتخرر النساء ، ظهرت في ذلك الوقت أديبات و ناقدات قاربن النصوص في محاولة للإجابة على جملة من التساؤلات ، منها : كيف جرى تصوير النساء في نصوص الرجال الأدبية ؟ ما العلاقة بين انتهاكات النص للنساء و اضطهادهن في المجتمع ؟ ما سر غياب النساء عن التاريخ الأدبي ؟ هل هناك جماليات نسوية مستقلة بذاتها ؟ من الذي يقيّم و يختار النصوص التي تصوغ المعيار الأدبي ؟ و لماذا حين نتأمل الكتب العظيمة تحضر في الذهن أوتوماتيكيا أسماء الكتاب الرجال ؟ أليست هناك كاتبات عظيمات ؟ و هل هناك حقا اختلاف جوهري بين كتابة الرجال و كتابة النساء ؟ ...

هذه التساؤلات إذن كانت منطلقا أساسيا لهذه الحركة ، من أجل القضاء على مركزية الذكورة و النظام الأبوي و إعادة الاعتبار للمرأة المهمشة واقعيا و أدبيا ، ابتداء من محاكمة الروائية الإنجليزية فرجينيا وولف للمجتمع الأدبي الغربي ، إذ سعت إلى تأسيس خطاب أنثوي خارج عن المألوف و المعتاد.

اعتبرت سيمون دي بوفوار في كتابها " الجنس الثاني " عام 1949 الفارق الإنساني منتجا رجاليا يعود إلى العهد القديم ، حيث أسهم في إشاعة مناخ ترتسم فيه تفاصيل الإذعان و الخضوع ، و هذا المناخ ساعد في نشوئه كتاب و فلاسفة و علماء و قساوسة ، من خلال إضفاء الشرعية الدينية على هذه النظرة الانتقاصية للمرأة. ألفت ديل سبنسر كتابا بعنوان " لغة من صنع الرجل " بينت فيه أن هيمنة الخطاب الذكوري و لغته أسهمت بشكل أساسي في قمع المرأة ، من أجل ذلك سعت الكاتبات إلى منافسة هيمنة الرجال على اللغة بدل التقوقع داخل الخطاب الأنثوي ، في حين ترى عالمة اجتماع اللغة روبين ليكوف « أن لغة النساء أدنى بالفعل من لغة الرجال ، لأنها لغة تتضمن أنماط ضعف و عدم يقين ، و تركز على التافه و الطائش و الهازل و تؤكد الاستجابات الذاتية » بل و تذهب لأكثر من ذلك عندما تطالب النساء بتبني النموذج الرجالي في الكتابة إذا أردن تحقيق المساواة الاجتماعية.

سعت الحركات النسوية إلى مواجهة الإيديولوجيا الأبوية و واصلت نضالها ضد ما هو سائد و ما هو سلطوي ، حيث هاجمت ماري ألمان في كتابها " التفكير حول المرأة " عام 1968 النقد الذكوري و مركزية الرجولة في الفن ، و وجدت أن الكاتبات لم يتبين كلهن أسلوبا أنثويا في كتاباتهن ، إذ حاولن تدمير قيم الذكر و تقويضها ، كما كتبت كيت ميلليت كتابا بعنوان " السياسات الجنسية " عام 1970 وضحت فيه أن قمع النساء كان بسبب النظام الأبوي الذي أخضع الأنثى للذكر ،و عاملها بشكل منتقص عن طريق الحجر على حريتها و استخدام القوة في ذلك ، و هذه النظرة متوارثة اعتقادا و ممارسة منذ عصور قديمة.[1]

سعت الحركات النسائية لتغيير النظام اللغوي التقليدي من خلال وضع برنامج تحرري يهدف إلى تركيب لغة متحررة من القيود التي تعيق تحرر فكر المرأة و تعبر عن المساواة ، هذا ما جعل الكتابة النسائية تبحث عن تشكيلات أجناسية جديدة ، و لو أن البعض ينزع إلى رفض مصطلح الأدب النسوي أو النسائي الذي يجزئ فعل الإبداع و يرون أن عملية تجنيس الأدب من شأنه التقليل من قيمته و جعله في مرتبة دونية أمام الإبداع الرجالي بشكل عام.

ظهرت عدة مترادفات أثارت جدلا في الأوساط الأدبية و النقدية ، و بقي المصطلح متعدد الدلالات الأمر الذي دفع النقاد إلى عدم اجتماعهم على مفهوم موحد ، فمنهم من قال بالنسوية ، و منهم من وصف إبداع المرأة بالكتابة الأنثوية ، و منهم من قال بالكتابة النسائية... الخ ، بل و قد يصل الأمر إلى أن نجد الباحث نفسه يستعمل مصطلحات مختلفة دون تمييز بين دلالاتها

II اتجاهات الكتابة النسوية العربية :

1. الاتجاه الأول : القائل بمصطلح الأدب النسائي : نجد معنى التخصص الموحي بالحصر و الانغلاق في دائرة جنس النساء ، و ما تكتبه النساء من وجهة نظر النساء سواء كانت هذه الكتابة عن النساء أم عن الرجال أن عن أي موضوع آخر ، إذن فمصطلح الكتابة الأدبية النسائية نجده عند بعض الناقدات مرادف لتصنيف إبداع المرأة ، و عليه فالأدب النسائي لا يعني بالضرورة أن المرأة كتبته ، بل يعني صراحة أن موضوعه نسائي.
2. الاتجاه الثاني : القائل بمصطلح الأدب الأنثوي : يستدعي لفظ أنثى توصيفات سلبية مختلفة منها الضعف و الرقة و الاستسلام و الاستيلاب ، لذلك فهو يحيل على عوالم الأنثى ، و هنا يمكن للرجل أن يكتب نصا أنثويا ، مثل شعر نزار القباني الذي لا يمكن تسميته بالنص النسوي استنادا لمرتكزات النوع ، و هذا التعريف يكرس ظاهرة العبودية...
3. الاتجاه الثالث : القائل بمصطلح الأدب النسوي : هذا المصطلح بات الأكثر دلالة على خصوصية ما تكتبه المرأة في مقابل ما يكتبه الرجل ، فالنسوية إذن تمثل وجهة نظر النساء بشأن قضايا المرأة و كتابتها و ما تحمله من خصوصيات ، و النسوية في هذا الأدب تتحدد من خلال نوعية اللغة الموظفة داخل العمل الإبداعي ، فالنسوية لا تقتصر على كونها مجرد خطاب يلتزم بالنضال ضد التمييز الجنسي و يسعى إلى تحقيق المساواة بين الجنسين ، و إنما هي أيضا فكر يعمد إلى دراسة تاريخ المرأة و إلى تأكيد حقها في الاختلاف ، و إبراز صوتها و خصوصياته . أي أن هناك لغة أنثوية تكون خاصة بالكاتبات دون سواهم من المبدعين ، فضلا عن التجربة الإبداعية و الخصوصية النسوية التي تميزها عن سواها ، فالمرأة هي الأقدر في تصوير مختلف جوانب تجربتها الخاصة و ما تخفيه من مكنونات و رغبات و آهات.

إن كتابة المرأة مرتبطة بقضايا المرأة و اهتماماتها و الدفاع عن أفكارها ، أما الكتابة النسوية فلها علاقة مباشرة بالإبداع الأدبي و بالنصوص الإبداعية ، و سواء كانت هذه النصوص من إبداع امرأة أو رجل ، المهم أنها تخص عوالم المرأة الخاصة و الذاتية . لقد حاولت الكتابات النسوية الكشف عن الآلية التي يعمل بها المجتمع الذكوري على ترسيخ الاضطهاد النفسي و ازدواجية المعايير لذلك بعض المبدعات رفضنه لأنه يجعلهن محصورات في الصبغة النضالية أي بالكتابة عن المرأة فقط.

يمثل الجسد أحد المحاور التي دارت حوله نصوص الأدب النسائي ، لكن بدرجات متفاوتة.[2]

III تمثيلات المرأة المهمشة في بعض الروايات المعاصرة:

امرأتان في امرأة :

هذه الرواية للروائية المصرية نوال السعداوي ، إذ تعي بطلة الرواية شاهين بأن جسدها منقسم إلى جسدين أحدهما ملك للأعراف و التقاليد و الأسرة و المجتمع ، و الآخر ملك لها ، لذا طوال الرواية تسعى للانتقال من دائرة ملكية الآخرين له إلى دائرة الانتهاك الرمزي الذي قام به الآخرون ضده ، و جعله في نهاية المطاف جسدا معطلا ، فالأنوثة الحقيقية بالنسبة لها هي معرفة تضاريس الجسد و وظائفه ، لكن التربية الأسرية تحرم ثقافة الجسد... هذا الأمر يجعلها تنظر إلى الأجساد التي يقومون بتشريحها في كلية الطب ببرودة باعتبارها عاطلة و فاقدة لوظائفها على نحو يناظر حالة جسدها.

تحاول شاهين التمرد على ما رسمه الآخرون لها : كونها امرأة مستسلمة و طالبة في كلية الطب و لذا فهي تريد تجاوز كونها امرأتين في امرأة و الانتقال إلى كونها امرأة واحدة بجسد واحد ، و مع تعرفها على " سليم إبراهيم " تخنق امرأة الثقافة السائدة و تستبدلها بامرأة الجسد إذ كانت ترى أن الحرية هي تحقيق ملكية الجسد.

يقوم الانتماء المزدوج إلى عالمين ثقافيين في وقت واحد بتمزيق الخوية الأنثوية ، فلا هي قادرة على أن تقطع الصلة مع عالم أورثها ثقافة الاختزال و الإقصاء ، و لا هي قادرة على أن تنتمي إلى العالم الذي تعتقد أن يكفل أنوثتها الإنسانية ، إذن مع ظهور سليم تعلن عن تمردها الفردي الذي زامن التمرد الجماعي الذي مثله إضراب طلاب الجامعة ، فيلقى القبض عليها و تتعرض لتعنيف أسري يفضي إلى منعها من الدراسة و إجبارها على الزواج ، لكنها تتمرد و تهرب من بيت الزوجية ، لكن يقبض عليها بتهمة التحريض السياسي.

تفضل البطلة في تأكيد ذاتها و خسرت الرهانين معا و عاشت عاطلة جسديا ، و للتعويض عن هذا تسترجل و تحاكي الرجال في مشيهم و ملبسهم و تصرفاتهم ، و كأن التخلص من آثار ثقافة الذكور يتم بالامتثال لها و محاكاة أصحابها.

إذن فالرواية تقدم هجاء قاسيا للبنية الثقافية بكل ملابساتها الأخلاقية و الاجتماعية و السياسية ، هذا و يشيع التمرد العبثي و الانخراط في هموم فردية في هذه الرواية.

نخب الحياة :

هذه الرواية للروائية التونسية " آمال مختار " تقوم على فرضية كون الحياة متعة جسدية من خلال شخصية سوسن بن عبد الله التي تغادر تونس إلى ألمانيا ، الرواية تبدو موجزة رشيقة ، فهاجس الاختفاء بالجسد يدفعها إلى تغيير المكان و خوض عدة تجارب ثم العودة إلى المكان الأول ، و التجارب الجسدية التي تخوضها تبدو سلسلة من الممارسات التي تهدف إلى تكريس تلك الفرضية.

و في نهاية المطاف تعمق الفرضية القائلة إن الحياة متعة جسدية ، و ذلك لا يتم فقط إلا من خلال الأفعال و الوقائع الحكائية ، إنما يعبر عنه بنوع من السرد الأنثوي الكثيف الذي تتلفظ به الشخصية ، في تقديم الرواية تقول : « ... كنت بلا فكرة ، بلا سأم. أركض وراء متعة. هاربة ، هاربة. صار الشوق أكبر و يبدو النص و كأنه مصمم للبرهنة السردية على هذا التعارض بين الفكرة و المتعة. و بالتولزي مع تلك الثنائية المتضادة ، تظهر السمة المميزة لهذه الرواية ، أي التعارض عين الحكاية و السرد الكثيف فالحكاية إنما هي في سياق النص ، مجرد نوع من فكرة تتنزل بوصفها أحداثا و وقائع حول الشخصية الرئيسية ، أما السرد الكثيف فهو متعة فموضوع جسد الشخصية ، و مداره الرغبة التي يبعثها كل شيء في ذلك الجسد ، إنه جسد شديد الإحساس بذاته ، معتصم بلذته ، مبتهج بأنوثته ، مستغرق بالمتع و الرغبات ...»

تقول سوسن كتعبير عن رغباتها : « كان يجب أن أخوض التجربة بعيدا عن رضا الذي أصبح الآن " هناك ". كان يجب أن أتسكع. أن أنام على بلاط المحطات و الأرصفة ، أن أتعرف إلى أناس عابرين في زمن عابر كان يجب أن أعربد ، أن أرتطم بوهم الحضارة ، أن أكتشف حقيقة الإنسان ، طبيعته التي تخفت تحت أشلاء الملابس و الثقافة و القانون ، القانون الذي يحب و يكره و يختار و يقرر ، و يرسم قضبان الواجبات و الحقوق

و يتسلى بلعبة الظلم و العدل».[3]

خاتمة

يبقى في الأخير القول أن هناك من يرى فكرة التهميش في ضوء حركة الثقافة كلها، وهذا نجده في حديث جابر عصفور في ندوةٍ موسعةٍ أقامها المجلس الأعلى لمدة يومين تكريماً لإدوارد الخراط بمناسبة بلوغه السبعين، إذ يتحدث عن " إرادة الإبداع " عند الخراط، ويرى أنها : " ... تتحدى سلطة الكتابة المهيمنة، باحثةً عن نغمتها الخاصة وسط ركامِ المألوف والمعتاد، بعيداً عن غواية المركز، حيث الهوامش التي لاتعرف سوى الإبحار صوب المجهول الذي يظل في حاجةٍ إلى كشف " ، وذلك" لتفرضَ الهامش على المركز، وتسهم في انتقال الكتابة من عهدٍ إلى عهد ..." ،ومن هذه الكتابات طبعا ما تحاول انتشال الهامش النسوي من هامشيته ووضعه في الواجهة .

قائمة المراجع

[1] ماري إيجلتون: نظرية الأدب النسوي ،ترجمة:عدنان حسن ـ رنا بشور،دار الحوار للنشر والتوزيع،سوريا ، 2016.

[2] غزلان هاشمي:تعارضات المركز والهامش في الفكر المعاصر،دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع،العراق،ط1 ،2014.

مراجع الأنترنيت

[3] المرأة وهاجس التمرد https://www.asjp.cerist.dz/en/article/212857